د.مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: قضايا نقدية
التخصص: أدب حديث ومعاصر ـ ماستر
المستوى: ثانية ماستر، السداسي 3

المحاضرة رقم 09

عنوان المحاضرة: الترجمة

إن الترجمة فن من فنون الأدب واللغة لها قواعد وضوابط خاصة، وهي عملية قديمة قدم الزمن، إذ تعتبر أداة التواصل ومعيار الثقافة والحضارة، حيث أدرك العرب منذ العصر العباسي أهمية الترجمة ودورها في الانفتاح والاطلاع على العالم، أما عصرنا الحالي فقد ازدادت أهميتها وتعاظم دورها نتيجة الانفجار المعرفي الكبير والتقدم التكنولوجي الهائل الذي مس جميع ميادين الحياة، وكان لها الدور البارز في نقل مناهج النقد المعاصر من العالم الغربي إلى العالم العربي، فقد عدت خير وسيلة لشحذ خطابنا النقدي العربي بالوسائل والإجراءات التي تسعف الحوار مع النصوص الأدبية التي أصبحت تتعالى عما أصبح مألوفا من قضايا النقد الحديث، وإذا كان العجز باديا في خطابنا العربي النقدي المعاصر، فمجيء الترجمة عُد كحل لتخفيف توتر هذا الخطاب، فكلنا يعلم أن الفكر الإنساني لم يتمثل أبدا في جزيرة معزولة ولم يتطور عبر سجون اللغات والأقاليم، وإنما كان دائما يجد سبله لاختراق هذه الحواجز.

مفهوم الترجمة: تعد الترجمة حالة خاصة من حالات التواصل الذي يربط بين مختلف الشعوب، والذي شارك في ازدهار الثقافات، فقد أصبحت الترجمة ميدانا خصبا للدراسة والتدريس والبحث.

لغة: نجد في لسان العرب في مادة "ترجم" " والترجمان: المفسر، وقد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان والجمع التراجم".

وفي تاج العروس "ترجم الترجمان قيل نقله من لغة إلى لغة أخرى والفعل يدل على أصالة التاء، والتاء في الكلمة أصلي ووزنها (تُفعلان)".

وعليه فلا تخرج دلالات هذه المادة عن نقل الكلام من لسان إلى آخر، فالمعاجم اللغوية تناولت هذا المفهوم على نطاق واسع لكن لم تخرج على تفسير الكلام باللسان الذي جاء به.

اصطلاحا: لقد تعددت التعاريف الاصطلاحية وتضاربت، ولكن جلها تتفق على وجود لغتين هما لغة المصدر ولغة الهدف، حيث أن الترجمة هي التعبير عن ماهو مكتوب في لغة أولى هي اللغة المصدر إلى اللغة الثانية هي لغة الهدف، وهو ما أشار إليه "جورج مونان" إذ يقول في هذا الصدد بأنها "التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى، أي نقل المعاني من لغة المصدر إلى لغة الهدف".

إشكالية الترجمة: كان الباعث الأساس لتصدر إشكالية الترجمة في الساحة النقدية العربية، هو غياب روح التنسيق والانسجام في إطار عمل الفريق الواحد، وغلبة النزعة الفردية في جهود الترجمة.

فقد تكمن إشكالية الترجمة حينما يصبح العمل موجها داخل النص، ويجد القارئ أحيانا نفسه في حيرة من أمره وهو يقرأ الكتاب نفسه مترجما من قبل عدة مترجمين حين يُخيل إليه أنه يقرأ كتبا مختلفة وليس كتابا واحدا.

وقد شملت هذه الإشكالية التعامل مع المناهج والمصطلحات النقدية، إذ تعد إشكالية التعامل مع المصطلحات من أعقد الإشكاليات الجوهرية في الثقافة العربية، وهي مرتبطة بإشكالية انتقال النظرية وحراك المفاهيم والأفكار التي تشكل المسار الطبيعي للعمليات الذهنية التي تتعامل مع قواعد المعرفة والنظرية، وهو ما أكد عليه الباحث والناقد "سعيد يقطين" قائلا: "عندما نكون نحن العرب في وضع استعمال هذه المصطلحات ونقلها إلى لغتنا واستعمالنا النقدي لها، فإننا لا ننقل فقط الكلمات ولكن علاوة على ذلك مفاهيم مثقلة بحمولات تاريخية ومعرفية واستعمالية".

إذ يلجأ كل باحث إلى اقتراح قائمة المصطلحات بشكل فردي دون الاعتماد في ذلك على طريقة مدروسة في وضع المصطلحات، حيث قادت العشوائية إلى الكثير من النتائج السلبية أبرزها الاضطراب في وضع المصطلح والفوضى في توظيفه، وعدم تناسق المقابلات للمفردات الأجنبية؛ أي عدم التحكم في توحيد المصطلحات واستعمال المصطلح في أكثر من مفهوم، أو إطلاق أكثر من مصطلح على المفهوم الواحد نتيجة تعدد لغات المصدر المنقول منها والتي تنتمي إلى عائلات لغوية مختلفة عن عائلة اللغة العربية.

ولعل أفضل مثال يمكن أن ندعم به نظرتنا هذه كتاب "فرديناند دي سوسير" حول اللسانيات "cours de lingustique générale " ، الذي تمت ترجمته خمس مرات، وكل ترجمة جاءت بعنوان يختلف عن باقي الترجمات، فهناك الترجمة التونسية التي قام بها (صالح القرمادي ومحمد عجينة ومحمد الشاوش) وصدرت سنة 1985 بعنوان "دروس في الألسنية العامة"، ثم الترجمة السورية التي أنجزها كل من (يوسف غازي ومجيد نصر الله) سنة 1986 بعنوان "محاضرات في الألسنية العامة"، تليها الترجمة المصرية التي أنجزها (أحمد نعيم الكراعين) سنة 1985 بعنوان "فصول في علم اللغة العام"، بعدها الترجمة العراقية من طرف (يوئيل يوسف عزيز) سنة 1985 بعنوان "علم اللغة العام"، ثم الترجمة الأخيرة وهي الترجمة المغربية من قبل (عبد القادر القنيني) سنة 1987 بعنوان "محاضرات في علم اللغة العام".

ومن الأمثلة الأخرى التي تؤكد الفوضى التي يسبح فيها المصطلح اللساني على سبيل المثال ما يتعلق بتسمية العلم في حد ذاته" Linguistique" الذي ترجم بعدة مصطلحات عربية حسب ما أوردها "عبد السلام المسدي" في قاموس اللسانيات وهي: "اللانغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الدراسات اللغوية الحديثة، علم اللغويات الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة، اللغويات الجديدة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، اللسانيات"

ومن أمثلتها أيضا تعدد ترجمات بعض المصطلحات والمناهج النقدية من ذلك ترجمة: الشعرية Poétique إلى العديد من المصطلحات منها: "الشعرية، الشاعرية، بويتيك، بويطيقا، نظرية الشعر، فن الشعر، الفن الإبداعي، الإبداع، علم الأدب، الأدبية، الإنشائية".

أيضا مصطلح الانزياح Ecart ترجم بما يزيد عن الأربعين مصطلحا مثل: "الانحراف، العدول، الانتهاك، الخرق، التدمير، البعد، اللحن..."

وكذا مصطلحات أخرى كالمصطلح السيميائي فمصطلح السيميولوجيا Sémiologie مثلا نجده عند "صلاح فضل" و"عبد الله الغذامي" و"سعيد علوش"، والناقد "عبد الملك مرتاض" و"عبد العزيز حمودة"

أما السيميائية Sémiotique فإننا نجدها عند "عبد السلام المسدي"، "فاضل ثامر"، "رشيد بن مالك"، "محمد مفتاح" وغيرهم.

فمن الأسباب المؤدية إلى خلق فوضى في المصطلح حسب ما أشار إليه "السعيد بوطاجين" "تفاوت المدارك من باحث إلى آخر بسبب اللغة والتكوين، وعدم اتفاق المختصين حول السابقة الواحدة أو اللاحقة الواحدة لتباين الثقافة والمنطق واللغة أو لضغوط غير لسانية"

ومن بين الأسباب الأخرى التي كانت سببا في خلق فوضى في ترجمة المصطلح غياب المرجعية، وهو ما أشار إليه حفناوي بعلي" قائلا: "ونقصد بغياب المرجعية إقدام المترجم على ترجمة النص النقدي في غياب مرجعيته؛ أي عدم الإلمام بالسياق التاريخي وبالأسس النظرية للنص المترجم مع العلم أن كل ما يعبر عنه النقد من أفكار ونظريات واتجاهات هو حلقة من حلقات السياق الثقافي والاجتماعي للغة المصدر"

دون أن ننسى الحداثة وما بعد الحداثة وما حام حولهما من مناهج نقدية وهو ما أشار إليه "عبد العزيز حمودة" في كتابه (المرايا المقعرة) قائلا: "ترجمة النظريات النقدية خاصة الحداثية وما بعد الحداثية تمثل أعلى درجات التحدي لقدرات المترجم لغويا وذهنيا، فالمترجم يجد نفسه يتعامل مع مصطلحات لغوية مفردة أو مركبة لم يحدث الاتفاق على دلالتها بين أبناء الثقافة الواحدة وأحيانا بين أبناء الثقافة التي أفرزتها".

ويقول أيضا: "إننا نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى، بكل عوالقة المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف".

وكذا الازدواجية اللغوية التي تعتبر من أكبر المشكلات التي تواجه المصطلحات العلمية عامة والنقدية خاصة، والتي يعود مردها إلى اكتفاء بعض الدول العربية بلغة واحدة مثل "الجزائر" التي طغت فيها الفرنسية على حساب بقية اللغات ليس هذا في الترجمة وحسب وإنما شكلت حالة مرضية أصابت الهوية الثقافية للبلد نتيجة الأوضاع التي عرفتها الجزائر مقارنة بالدول العربية الأخرى، هذه الأحادية خلقت الاختلاف بين بلدان المشرق التي تترجم باللغة الأنجليزية وبلدان المغرب العربي التي تترجم بالفرنسية فخلقت التضارب والتأرجح المصطلحي الذي أربك الدارس وشوش المتلقي.

مراجع ومصادر المحاضرة:

ـــ ابن منظور : لسان العرب.

ـــ مرتضى الزبيدي: تاج العروس.

ـــ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، تر: أحمد زكريا إبراهيم.

ـــ محمد مدني: النقد وترجمة النص المسرحي.

ـــ سعيد يقين: المصطلح السردي العربي-قضايا واقتراحات-.

ـــ عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات.

ـــ السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح.

ـــ حفناوي بعلي: إشكالية ترجمة المصطلح النقدي.

ـــ عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية.